

الحذر من الحرص على الدنيا

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله العزيز الغفور، العليمِ بذاتِ الصدور، أسدَى علينا وعلى الناس النِّعَم، ودفعَ عمَّن شاءَ الشُّرورَ والنِّقَم، أحمدُ ربي وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفِرُه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحليمُ الشكور، وأشهد أن نبيَّنا وسيِّدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبِهِ ذوِي السعي المشكور والعمل المبرُور.

أما بعد:

فاتقوا الله بما يُرضِيه، ومُجانبة معاصِيه؛ فربُّنا أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

عباد الله:

طُوبَى لمن اتَّصَفَ بالصفات التي يُحبُّها الله ويرضاها مع الإيمان واليَقين، وويلٌ لمن اتَّصَف بالصفات المذمومة والأخلاق الممقوتَة.

ألا وإن صلاحَ هذه الأمة في أوَّلها بالزُّهد واليقين، وهلاكَها بالحِرص والأمل.

والزُّهدُ الواجب: هو كفُّ النفس عن المُحرَّمات، وسلامةُ المُسلم من أموال الناس ودمائِهم، وتوقِّي المكاسِب المُحرَّمة، والحذرُ من المُشتبَهات، وإعطاء الحقوق للخلق المُتعلِّقة بالذِّمَم والأمانات.

وما زادَ على ذلك فهو إحسانٌ وفضلٌ، وخيرٌ وبرٌّ، وطُهرٌ وزكاةٌ، مُرغَّبٌ فيه شرعًا، يُعظِمُ الله به الأجرَ والثوابَ، ويرفعُ به الدرجات، ويدفعُ الله به عن العبد خِزيَ الدنيا ومصارِعِ السُّوء، ويُحسِنُ به العاقبَة، قال الله تعالى:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

والفلاح منزلةٌ ينالُها العبدُ برحمةِ الله، ووصفَ الله تعالى رسولَه – صلى الله عليه وسلم – والمُؤمنين معه بها، فقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨].

وسخاوةُ النفس، وسلامةُ الصدر، وحُسن السريرة، وطِيبُ السَّجايا تُلائِمُ الزُّهد وتألَفُه وتكونُ معه، وهذه الخِصالُ ونحوُها أو واحدةٌ منها مع صحة العقيدة تُدخِلُ صاحبَها الجناتِ بسلامٍ؛ عن أنس – رضي الله عنه – قال: كنا جُلوسًا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال: «يطلُعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة». فطلَع رجلٌ من الأنصار تنطُفُ لحيتُه من وضوئِه، قد علَّق نعلَيْه بيدِه الشِّمال، فلما كان الغدُ قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مثلَ ذلك، فطلعَ ذلك الرجلُ مثلَ المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – مثلَ مقالتِه أيضًا، فطلَع ذلك الرجلُ على مثلِ حالِه الأُولى.

فلما قامَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – تبِعَه عبدُ الله بن عمرو فقال: إني لاحَيتُ أبي، فأقسمتُ ألا أدخُلَ عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تُؤوِيَني إليك حتى تمضِي فعلت؟ قال: نعم.

قال أنس: فكان عبدُ الله يُحدِّثُ أنه باتَ معه تلك الليالي الثلاث، فلم يرَه يقومُ من الليل شيئًا، غيرَ أنه إذا تعارَّ تقلَّبَ على فراشِه ذكرَ اللهَ وكبَّرَ، حتى يقومَ لصلاةِ الفجر. قال عبدُ الله: غيرَ أني لم أسمَعه يقول إلا خيرًا.

فلما مضَت الليالي الثلاث، وكِدتُ أن أحتقِرَ عملَه، قلتُ: "يا عبد الله! لم يكُن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هِجرةٌ، ولكني سمعتُ رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – يقول لك ثلاث مرات: «يطلُعُ عليكم الآن رجلٌ من أهل الجنة». فطلعتَ أنت الثلاث المرات، فأردتُ أن آوِيَ لأنظُر ما عملُك فأقتدِيَ به، فلم أرَك تعملُ كبيرَ عمل، فما الذي بلغَ بك ما قالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –؟!".

قال: ما هو إلا ما رأيتَ. فلما ولِّيتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غيرَ أني لا أجِدُ في نفسي لأحدٍ من المُسلمين غِشًّا، ولا أحسُدُ أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه.

قال عبدُ الله: "فهذه التي بلغَت بك"؛ رواه أحمد والنسائي، وإسنادُه صحيحٌ.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قلتُ: يا رسول الله! أيُّ الناس خيرٌ؟ قال: «كلُّ مؤمنٍ مخمُوم القلب، صدوقُ اللسان». قلنا: يا رسول الله! وما مخمُوم القلب؟ قال: «التقِيُّ النقِيُّ الذي لا غِلَّ فيه ولا غِشّ، ولا بغيَ ولا حسَد»؛ رواه ابن ماجه بإسنادٍ صحيحٍ.

وأما الحِرصُ على جمع الدنيا من حلالٍ وحرامٍ؛ فهو من أدواءِ القلوب، وأسباب الهلَكة، ومَحق الرِّزق، ومن الأضرار العاجِلة والآجِلة.

والحِرصُ يُلائِمُه ويُوافِقُه ويُؤاخِيه ويكونُ معه البُخلُ والشُّحُّ، والبُخلُ من الخِصال الذَّميمة التي يُبغِضُها الله تعالى؛ عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «السَّخِيُّ قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنة، بعيدٌ من النار، والبخيلُ بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنة، قريبٌ من النار، ولَجاهلٌ سخِيٌّ أحبُّ إلى الله من عابدٍ بخيلٍ»؛ رواه الترمذي.

والبُخلُ هو منعُ الزكاة والنَّفَقاتُ الواجِبة، وحِرمانُ السائل والضيف، والإمساكُ عن أبوابِ الخير بفضلِ المال، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٨- ١١]، وقال تعالى في أهل النفاق: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] أي: يبخَلون بالإنفاق في سُبُل الخير.

والشُّحُّ شرٌّ من البُخل؛ فالشُّحُّ هو الحِرصُ على أموال الناس وحقوقهم، والسعيُ في تحصيلِها وضمِّها إلى اليَد ظُلمًا وعُدوانًا وبغيًا وتكالُبًا على الدنيا الزائِلَة الغرَّارة، وحسدًا، واستِخفافًا بعذابِ الله – عز وجل – وعقوبتِه، وعدمَ خوفٍ من الربِّ – جل وعلا –، ونسيانًا للعواقِب الوَخيمَة التي تنتظِرُ الشَّحيحَ.

وقد حذَّرَنا رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – من الشُّحِّ؛ عن جابر – رضي الله عنه – أن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إياكُم والظُّلم؛ فإن الظُّلمَ ظُلُماتٌ يوم القيامة، واتَّقُوا الشُّحَّ؛ فإن الشُّحَّ أهلكَ من كان قبلَكم، حملَهم على أن سفَكوا دماءَهم، واستَحلُّوا محارِمَهم»؛ رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: «واتَّقُوا الفُحشَ والتفحُّش؛ فإن الله لا يُحبُّ الفُحشَ ولا التفحُّشَ، وإياكُم والشُّحَّ؛ فإنه أهلكَ من كان قبلَكم، أمرَهم بالظُّلم فظلَموا، وأمرَهم بالفُجور ففجَرُوا، وأمرَهم بالقَطيعة فقَطَعوا»؛ رواه أحمد وأبو داود.

وعن أبي الهيَّاج الأسدي قال: كنتُ أطوفُ بالبيت، فرأيتُ رجُلاً يقول: اللهم قِني شُحَّ نفسي، لا يَزيدُ على ذلك. فقلتُ له، فقال: إني إذا وُقيتُ شُحَّ نفسي لم أسرِق، ولم أزنِ، ولم أفعل. وإذا الرجلُ عبدُ الرحمن بن عوفٍ – رضي الله عنه –؛ رواه ابن جرير.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «شرُّ ما في رجُلٍ: شُحٌّ هالِع، وجُبنٌ خالِع»؛ رواه أحمد وأبو داود.

ومن أشراط الساعة: أن يُلقَى الشُّح؛ يعني: ينزِلُ بالقلوب.

ويكثُر بالشُّحّ العُدوان، والظُّلم، والبَغيُ، والقَطيعَة، والفِتَن، وأخذُ المالِ من حلالٍ أو حرامٍ، وقد يقعُ القتلُ ولا يزالُ يزدادُ الشُّحُّ حتى تُخرِجَ الأرضُ كُنوزَها من الذهبِ والفضَّة، فتقذِفُ ما في باطنِها كأمثالِ الاسطُوان، كلُّ قومٍ يظنُّون أن ذلك من أرضِهم وهي عامَّةٌ في جميع الأرضِ.

فلا يُنتفَعُ بعد ذلك بذهبٍ ولا بفضَّةٍ، فيأتي القاتلُ فيقول: في هذا قتلتُ، ويأتي القاطِع فيقول: في هذا قطعتُ رحِمِي، ويأتي السارِقُ ويقول: في هذا قُطِعَت يدِي، وهذا من أشراط الساعة.

قال الله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعَني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعَنا بهدي سيِّد المرسلين وقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ؛ فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ذي المُلك والملكوت، والعزَّة والجبروت، الحيُّ الذي لا يموت، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له المُلك وله الحمدُ، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن نبيَّنا وسيِّدنا محمدًا عبدُه ورسولُه جاءَ بالبيِّنات والهُدى، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك على عبدِك ورسولِك محمدٍ، وعلى آله وصحبِه مصابِيح الدُّجَى وأعلام الهُدى.

أما بعد:

فاتقوا الله حقَّ التقوى، وتمسَّكوا من الإسلام بالعُروة الوُثقَى.

عباد الله:

إن الأملَ يضعُفُ معه العمل، ويُنسِي الآخرة، وإن الهوَى يصُدُّ عن الحقِّ، واحذَروا شهوات الغيِّ في بُطونكم وفُرُوجِكم، وعظِّمُوا حُرُمات الله ولا تتعدَّوا حُدودَه، واحفَظوا حقوقَ المُسلمين وحُقوقَ الجار؛ فاليومَ عملٌ واجتِهاد، غدًا حسابٌ وجزاءٌ، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وفي الحديث: «لن تزُولا قدَمَا عبدٍ يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربع: عن عُمره فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه من أين اكتسبَه وفيمَ أنفقَه، وعن علمِه ماذا عمِلَ فيه».

فقدِّموا لأنفُسِكم أفضلَ ما تقدِرون، ولا تغُرَّنَّكم زهرةُ الحياة الدنيا كما غرَّت الهالِكين.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقد قال – صلى الله عليه وسلم –: «من صلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صلَّى الله عليه بها عشرًا».

فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأولين والآخرين وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، اللهم وبارِك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

اللهم وارضَ عن الصحابة أجمعين، وعن الخلفاء الراشدين، الأئمة المهديين: أبي بكرٍ، وعُمر، وعُثمان، وعليٍّ، وعن سائر الصحابة أجمعين، وعن التابعين ومن تبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، اللهم وارضَ عنَّا معهم بمنِّك وكرمِك ورحمتِك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعزَّ الإسلام والمسلمين، وأذِلَّ الكفرَ والكافرين، ودمِّر أعداءَك أعداء الدين يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألُك ونتوجَّه إليك، اللهم انصُر كتابَك وسُنَّة نبيِّك يا رب العالمين، اللهم انصُر كتابَك وسُنَّة نبيِّك يا قوي يا متين.

اللهم أحسِن عاقِبَتنا في الأمور كلِّها، وأجِرنا من خِزيِ الدنيا وعذابِ الآخرة، اللهم إنا نعوذُ بك من شُرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ونعوذُ بك من شرِّ كل ذي شرٍّ يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألُك أن تُعيذَنا وذريَّاتنا من الشيطان الرجيم، ومن ذريَّته وشياطينه وجُنوده يا رب العالمين، اللهم أعِذ المُسلمين وذريَّاتهم من الشيطان الرجيم، إنك على كل شيء قدير.

اللهم ألِّف بين قلوبِ المُسلمين، اللهم ألِّف بين قلوبِ المُسلمين، وأصلِح ذاتَ بينهم، واهدِهم سُبُل السلام، وانصُرهم على عدوِّك وعدوِّهم يا رب العالمين، إنك على كل شيء قدير.

اللهم اكسُ عارِيَهم، اللهم وأطعِم جائِعَهم، اللهم وآوِ المُشرَّدين منهم يا رب العالمين.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تُيسِّر أمورَنا، وأن تُيسِّر أمرَ كل مُسلمٍ ومُسلمة، وأن تُيسِّر أمرَ كل مُؤمنٍ ومُؤمنة، اللهم لا تكِلنا إلى أنفُسنا طرفةَ عينٍ ولا أقلَّ من ذلك.

اللهم احفَظ بلادَنا من كل شرٍّ ومكروه، اللهم احفَظ بلادَنا من شرِّ المُعتَدين الظالمين يا رب العالمين.

اللهم وفِّق خادمَ الحرمين الشريفين لما تحبُّ وترضى، اللهم وفِّقه لهُداك، واجعل عملَه في رِضاك يا رب العالمين، اللهم انصُر به دينَك إنك على كل شيء قدير، اللهم وألبِسه ثوبَ الصحَّة يا رب العالمين، اللهم وفِّق وليَّ عهده لما تحبُّ وترضَى، ولما فيه الخيرُ يا رب العالمين، اللهم وفِّقهما لكل خير إنك على كل شيء قدير.

اللهم ادفَع عنا الغلا والوبا والرِّبا والزِّنا والزلازِل والمِحَن، وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطَن، إنك على كل شيء قدير يا رب العالمين.

اللهم اغفِر لموتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفِر لموتانا وموتى المسلمين، اللهم اغفِر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم إنا نتوجَّه إليك أن تُغيثَنا، اللهم أغِثنا، اللهم أغِثنا غيثًا مُغيثًا يا رب العالمين، مُبارَكًا غدَقًا، اللهم تُحيِي به البلاد، وتُغيثُ به العباد، وتجعلُه بلاغًا للحاضر والبَاد، إنك على كل شيء قدير.

عباد الله:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠، ٩١].

واذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزِدْكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.